حياة الحضرى

مملكة الأفاعى

◇

- الكتاب ، مملكة الأفاعى
- المؤلف ، حياة الحضرى
- الإيداع ، 2005/14962
- **I.S.B.N ، 977-374-104-4**
- اللوحات والإشراف الفني

الفنان ، أحمد الجنايني



كان ياما كان في قديم الزمان في بلاد اليونان شاب يدعي دانيال، واسع المعرفة، رائع الحكمة ذائع الصيت .

دعاه إمبراطور الفرس ليكون من كبار مستشاريه .

◇ ◇

قبل دانيال الدعوة ... فجمع آلاف المخطوطات والأسفار وركب وزوجته البحر معهما طفلة الوليد (حسيب) وفى الطريق إلى بلاد فارس هاجمهم قراصنة البحر واستولوا على كل ما يمتلكونه من ذهب وفضة . توسل لهم دانيال أن يتركوا له مخطوطاته وأسفاره فاستهزءوا به .

- يالك من رجل أحمق . تتوسل من أجل أوراق بالية .. لا جدوى منها ولا يعنيك الذهب والفضة .. !!

أشفق عليه رئيس القراصنة .. فألقى به وزوجته ووليدهما على الشاطئ ..

◇ ◇

مرض دانيال مرضاً شديداً .. وظل رغم مرضه يكتب تعاليمه وحكمته وفي لحظاته الأخيرة همس لزوجته :

- يا زوجتي الحبيبة .. حان موعد رحيلي عن الحياة ولم يبق ما أتركه لطفلي سوى تلك الوريقات الخمس .. فاحفظيها له حتى يكبر ويصبح قادراً على فهمها .. ! .

مرت الأيام وبلغ حسيب الطفل .. سن الشباب فأرسلته أمه للعمل مع الحطابين كي يكسب قوت يومه ..

وفي يوم من الأيام بينما كان حسيب يعمل مع الحطابين في الغابة هبَّت عليهم عاصفة مخيفة فهرعوا جميعاً إلى مغارة قريبة ليحتموا بها حتى تهدأ العاصفة .

تقدم حسيب رفاقه إلى داخل المغارة ووقعت عيناه على حجر يشبه الغطاءِ بوسطه حلقة حديدية فتقدم

وأمسك الحلقة ، وبكل ما لديه من قوة حاول رفع الحجر .. رويداً رويداً ارتفع الحجر فانكشف بئر عميق تحت هذه الصخرة .

◇ ◇

اجتمع الحطابون حول حسيب وأناروا شمعة كي يضيئوا داخل البئر .. عندها أذهلهم عمق البئر .. وأذهلهم أكثر ما رأوه من أقراص شهد العسل التي صُفَّت بعضها فوق بعض حتى الحافة العليا للبئر .

- إنه كنز من شهد العسل .

- لن نتعب بعد اليوم ، ولن نشقى في قطع الأشجار .

◇ ◇

كان حسيب يصغى إلى الحطابين في دهشة لأنه شعر بتجاهلهم له ، فنظر بخوف وقال :

- أنا الذي عثرتُ على هذا العسل يجب أن يكون لي النصيب الأكبر .. أليس كذلك .. ؟!

ابتعد الحطابون قليلاً ، وتهامسوا فيما بينهم ثم اقتربوا

من حسيب متظاهرين بالحب . وبخبث شديد طلبوا منه أن ينظر إلى أعماق البئر .. ليشاهد كم هو كثير هذا الشهد ..

وفى اللحظة التي انحنى فيها حسيب ناظراً إلى قاع البئر .. دفعه الحطّابون إلى أسفل البئر وراحوا ينتزعون أقراص الشهد من الجدران .

هوى حسيب إلى قاع البئر لكنه استقر على نبات الطحلب الناعم فلم يمسه سوءٍ .. استغاث بالحطابين لكنهم تجاهلوه وانتزعوا أقراص الشهد من الجدران ثم أعادوا الحجر على فوهة البئر ..



كان حسيب حزيناً لما آلت إليه أحواله لكنه قرر أن لا يستسلم للحزن وفى تلك اللحظة شعر بشيءٍ يتحرك على يده اليسرى ورغم العتمة إلا أنه أدرك أنه عنكبوت فقتله ثم تساءِل من أين جاءِ هذا العنكبوت؟

حدّق حواليه فرأي شقاً في جدران الحجر الذي



بجانبه .. فتأمله جيداً وبجهد حاول إزاحة الحجر حتى طهر ممر ضيق يؤدي إلى باب حديدي موصد بقفل من الفضة وبه مفتاح من الذهب ، حين فتح الباب كاد يغمي عليه من الخوف ..

ما هذا يا إلهي .. كهف واسع ممتلئ بأشياءٍ تتحرك وتلمع كالماءِ ، كرسى من الذهب تكورت عليه أفعى عيناها تبرقان ، وعلى مقربة منه عرش من حجر المرمر .

راح يُحدّق في الأفعى المتكورة على الكرسي فإذا به يكتشف أنه ما كان يبدو له أنه ماءِ ما هو إلا مجموعة كبيرة من الأفاعي تموج على الأرض ،ارتجف حسيب خوفاً .. لاسيما حينما سمع فحيحاً لا ينقطع ورأي أفعى عظيمة تحمل طبقا من الذهب على رأسها ، وعلى هذا الطبق أفعى أخرى كانت الأفعى بوجه امرأة عيناها ذابلتان وفمها رقيق جذّاب .

همست له :

- لا تخش منى أيها الفتي .. أنا ملكة الحيات ونحن

جميعاً نعلم أنك ستأتي إلى هذا المكان .

كاد حسيب أن يترك مكانه لكنها لاطفته .

- ابق كما أنت على كرسي العرش ... هل أنت جوعان يا صديقي ..

أجابها حسيب ..

- حقاً إنني أشعر بجوع شديد .. لم أذق الطعام منذ وقت طويل ..

أمرت الملكة بإحضار الطعام فقُدِّم له الطعام في أطباق من ذهب وأواني مرصعة بالجواهر .. وحين انتهى حسيب من تناول الطعام .

قالت له الملكة بصوت عذب :

- أيها الشاب اللطيف هل لك أن تقص لي حكايتك..من أنت ..؟ من جاءِ بك إلى هذا المكان .. ؟

على عجل حكى حسيب ما حدث له .. لأنه كان في شوق شديد لمغادرة المكان والذهاب للقاءِ أمه .. لكنه فور انتهائه من حكايته سألته الملكة أن يتلطف ويصغي

لحكايتها ..

بدأت الملكة تروى حكايتها .. وبدت كأن الحكاية لن تنتهي .. لم تتوقف الملكة عن حكايتها إلا حين غلب النوم حسيب ، فإذا ما استيقظ عادت تستكمل حكايتها .

لكن حسيب لم يكن يحتمل كل هذا فهمس لها قائلا :

- اسمحي يا صاحبة الجلالة أن ألتمس منك أن لا تبقيني هنا طويلا .. إن أمي في انتظاري .. !!

فأجابته :

- أعلم ما تعاني يا صديقي ، وما أطلت الكلام إلا لتأجيل ساعة موتى ..

فارتعش حسيب وقال متعجباً : .

- وكيف تكون عودتي نهاية لعمرك .. ؟

تنهدت الملكة وأجابت :

- أيها الشاب المسكين لن أزيد عذاباتك بعد الآن يمكنك الذهاب الآن .. فقط عدني ..

- اطلبي ما تشائين ..

قالت الملكة :

أرجوك .. عدني أن لا تذهب إلى الحمامات العمومية كي تستحم فيها ..

ابتسم حسيب متعجباً من هذا الطلب العجيب .. لكنه على عجالة .. قال لها :

- أعدك أيتها الملكة الجميلة ..

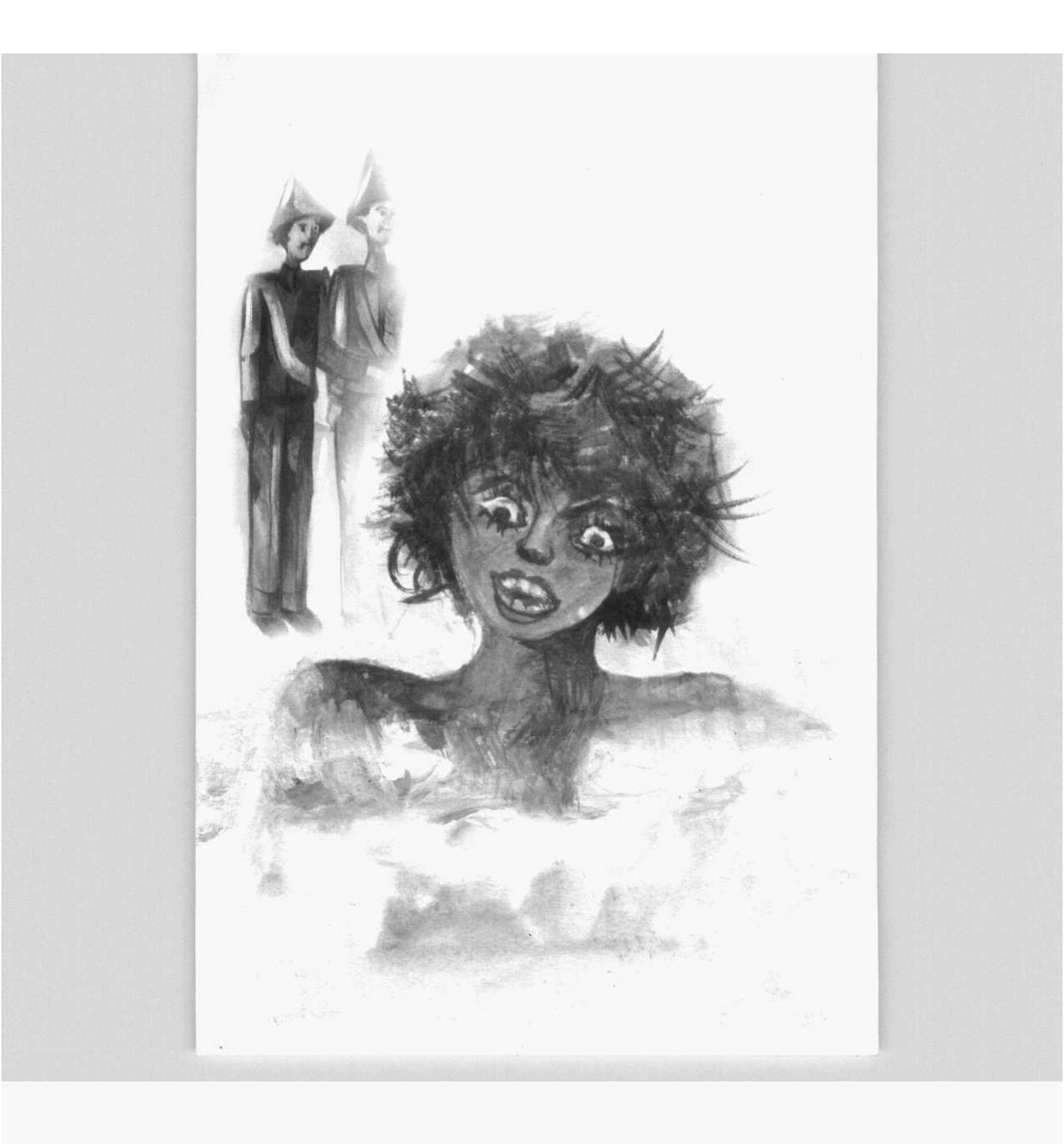
فقالت له الملكة :

- الآن اذهب يا صديقي وتذكرني دوماً ، مكتوب عليَّ أني سأجد حتفي على يديك .. !!

وفى ممر ضيِّق مظلم طويل قادته الملكة حتى وجد حسيب نفسه أمام باب المغارة الخارجي .. فكاد يطير من الفرح ..



انتشر خبر عودة حسيب إلى أمه وبيته بين الجيران وأهل البلدة .. وأقبل الحطابون الذين دفعوه في البئر وقد أظهروا له الندم وطلبوا منه المغفرة .. لاسيما أنهم



قد ساعدوا والدنه في عبابه .. وها هم الآن يتقاسمون أموال الشهد مع حسيب ، وهم مسرورون بسماحة حسيب وطيبته .

ذات صباح سأله بعض أصدقائه أن يرافقهم إلى الحمام العمومي كي يجدّدوا نشاطهم معاً بوقت طيب . فكم هو رائع هذا الحمام بمعماره الجميل وألوانه الزاهية ، ورخامه المزركش الرائع ..

نسي حسيب ما وعد به الملكة قبيل عودته .. ومضى مع أصدقائه سعيداً .. مرحاً ..

وما كاد يلقى بجسده في مغطس الحمام حتى رأي نفسه بين أيدي اثنين يسحبانه بعنف وهم يهتفان :

- هذا هو الرجل المطلوب لقد صارت بشرته سوداءِ !

راح كل من كان هناك يحدق بذهول ويتساءِل كيف تحول حسيب في لمح البصر إلى هذا اللون الأسود وهو يغتسل في ماءِ صافى نقى ..!

أخذ الرجال الأشداءِ حسيباً إلى كبير وزراءِ

إمبراطور الفرس وما أن مثلوا أمامه حتى قال أحدهم :

- صاحب السعادة هذا هو الرجل ما كاد ينزل في الماءِ حتى صار جلده أسود كما ترى .

بفتور شديد نظر الوزير إلى حسيب قائلا :

- نأسف لإزعاجك أيها الشاب لكنك في الحال ستعلم سبب مجيئك إلى هنا .. إن الإمبراطور كيرزان سيد بلاد فارس أصابه مرض خطير وقد أجمع الأطباءِ أن شفاؤه لن يكون إلا بأكله لحم أفعى .. وقد بحثنا في كتب الطب والسحر والنبوءِة حتى توصلنا على إجابة في هذا السفر .

.. قدم الوزير سفراً لحسيب فقرأه

هناك رجل سيقضي سنين في مملكة الأفاعي ثم يعود إلى بيته بعد ذلك ، سيعرف هذا الرجل عندما يذهب إلى الحمام العمومي لأنه حين يغطس في الماءِ يصير جلده أسود .. !

بحدة قال الوزير :

- أنت هو هذا الرجل .. ستكون دليلنا إلى مملكة الأفاعي ..

تألم حسيب .. حين تذكر وعده لملكة الأفاعي .. وأدرك أن حتفها سيكون سببه هذا النسيان ..

بأسف شديد .. تقدم حسيب الوزير ورجالاته إلى المغارة واقتحموا مملكة الأفاعي ، ثم اقتادوا الملكة الطيبة وحسيب معاً في قفص إلى بلاد فارس ليمثلا أمام الملك ..

◇ ◇

في الليلة التي أشرفوا فيها على بلاد فارس همست الأفعى لحسيب :

- سوف يأخذوننا إلى دار الوزير أولاً يا صديقي . هناك سيطلب منك الوزير أن تقتلني وتقسم جسمي ثلاثة أقسام ، لا تفعل .. بل اتركه هو يفعل ذلك .. عندئذ سيضع كل جزءٍ في قدر ليطبخ وبينما تكون القدور على النار سيدعي لمقابلة الملك ويطلب منك مراقبة القدور وبعد أن ينتهي دور المطبخ سيصفي ما في كل

قدر في قمقم حتى يصير سائلا نقياً .. سيأمرك الوزير بالمحافظة على سائل الجزء الأول على حده ليشفيه من مرضه . وسائل الجزء الثاني يريد أن يحمله إلى الإمبراطور . بينما سيترك لك القمقم الأخير مكافأة لك على خدمتك أرجوك اشرب أنت سائل القمقم الأول واترك الثالث له .

◇ ◇

كان حسيب حريصاً هذه المرة على تنفيذ ما أمرت به ملكة الأفاعي . وفى حال أن شرب سائل القمقم الأول اتسعت معارفه وشملت كل علوم الأرض .

وحين دخل الوزير قدم له حسيب القمقم الثالث فشربه فمات في الحال ..

بعدها قدّم حسيب القمقم الثاني للإمبراطور فما كاد يشرب منه حتى عاد معافى صحيحاً .

فنظر إلى حسيب نظرة شكر وعرفان قائلا :

- من أنت ؟ .. من أين أتيت أيها السيد الشريف ؟

فقال له حسيب :



- أنا حسيب ابن دانيال العالم اليوناني الشهير مات أبي وأنا طفل رضيع .

لم يكد ينتهي حسيب من كلماته حتى ظهر فرح عظيم على وجه الإمبراطور قائلا :

منذ زمن بعيد كان أبوك قادماً إليَّ ومات قبيل مجيئه ستسكن معي أنت وعائلتك في هذا القصر أيها الشاب الحكيم وسوف تكون حكيماً ومستشاراً للملك ..

فرح حسيب كثيراً بما آلت إليه أموره وحينما رأته والدته أدركت في الحال أن ولدها قد استقرت له الحكمة ففتحت الصندوق السري وأخرجت الصفحات الخمس التي كتبها دانيال قبيل وفاته وسلمتها له بفرح وهي تقول :

- هذا يا بني ميراثك الذي خصَّك به أبوك قبيل موته .. حان الوقت لتتسلمه فيزاد علمك .. وتخدم الناس .. ولتعش في رغدٍ .. وسعادة .. وهناءٍ .

(تمت)

حياة الحضرى

- كاتبة صحفية
- عضو اتحاد كتاب مصر
- عضو جمعية الكاتبات المصريات
- عضو مؤسس بالحزب النسائى العربى
- تعمل بمجلة قطر الندي للأطفال
- منحة تفرغ 2004 / 2005

صدر لها :

- الطب عند الفراعنة / دار المعارف
- المساجد والجوامع فى مصر / دار المعارف
- كنائس وأديرة مصر / دار المعارف
- علماء من الشرق والغرب / دار الهلال
- صرخة / مجموعة قصصية / الهيئة العامة للكتاب
- حروف متشابكة / مجموعة قصصية / نفر
- صاحب القلنسوه أسحاق الأقدم / رواية / نفرو
- حكايات جميلة فى العمارات الشعبية / اتحاد الكتاب